**علم البلاغة العربية**

يعد علم البلاغة من أبرز العلوم وأشرفها مكانة عند العرب والمسلمين، فقد ارتبط منذ نشأته بالقرآن الكريم، وكان أداة مهمة في فهم قضية إعجازه، تلك القضية التي شغلت العلماء والدارسين منذ نزول القرآن كما أن الكتب الخاصة بالإعجاز هي التي أسهمت بشكل كبير في نشأة هذا العلم وتطوره حتى أصبح علما قائما بذاته.

**بدايات علم البلاغة:**

1. **الممارسة دون التنظير:** عرفت البلاغة ممارسة قبل التنظير عند الشعراء والخطباء منذ العصر الجاهلي، يشهد ذلك تعليم العرب أبناءهم فنون القول، وكذا توجه نقدهم للأدب وجهة بلاغية مثلما تؤكده بعض الأخبار التي وصلتنا. فقد عرف عنهم إقامتهم لأسواق أدبية يتنافس فيها الشعراء في إلقاء الشعر تعلما وطموحا للشهرة والتفوق على الأقران، وجلّ الملاحظات التي يدلي بها الحكام حول تناسب الألفاظ لما يراد من معاني ومقاصد وهذا من جوهر البلاغة.
2. **التأليف في البلاغة:** حين نتتبع البدايات الأولى لنشأة علم البلاغة نجد كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (208 ه) وهو كتاب لغوي بالدرجة الأولى، والمجاز هنا لم يستخدمه بالمعنى الاصطلاحي الذي عرف لاحقا. ثم كتاب "الوجوه والنظائر" لمقاتل بن سليمان الذي لم يستخدم مصطلحات البلاغة كالمجاز وغيره ولكن تحليلاته هي تحليلات تبحث في معاني الوحدات اللغوية السياقية وبذلك مس الكثير من الاستخدامات المجازية لها.

ومع تطور العلوم في القرن الثالث ظهر العديد من العلماء البارزين كان لهم الفضل الكبير في تبلور مباحث علم البلاغة، على رأس هؤلاء الجاحظ الذي عالج في كتابه "البيان والتبيين" مسألة البلاغة والفصاحة ودافع فيه عن بلاغة العرب. وبعد الجاحظ جاء عبد الله بن المعتز بكتابه "البديع" ذكر فيه أنواعا من المصطلحات البلاغية، تلاه قدامة بن جعفر في القرن الرابع أضاف مصطلحات جديدة إلى ما أتى به ابن المعتز في كتابه "نقد الشعر".

وبعد قدامة سارت الدراسات البلاغية في اتجاهين متكاملين: اتجاه خاص بمباحث الإعجاز في القرآن الكريم (يمثله القاضي البقلاني والرماني) - واتجاه آخر اهتم بجميع فنون القول البلاغة دون تخصيص (قرآن، شعر، خطابة...).

**نضج البلاغة:** يجمع البلاغيون على أن عبد القاهر الجرجاني (471ه) هو المنعطف الحاسم لنضج البلاغة العربية، متجليا هذا النضج في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، ثم جاء بعده الزمخشري المعتزلي مستفيدا من كتابي الجرجاني في تفسيره "الكشاف" مطبقا مفاهيمه فيها. ثم بدأت البلاغة العربية لا حقا تتحول عن طبيعتها المرتبطة بالجمالية والذوق والفن إلى المعيارية والتقعيد مع مزجها بالمنطق، كان ذلك عند أبي يعقوب السكاكي (626ه) في كتابه "مفتاح العلوم". وجاء بعده بدرالدين بن مالك (686ه) الذي اختصر "مفتاح العلوم" في كتابه "المصباح في علم المعاني والبيان والبديع" وهو أول البلاغيين الذين قسموا البلاغة إلى علومه الثلاثة: البيان والمعاني والبديع. ومن أشهر التلخيصات لكتاب مفتاح العلوم تلخيص الخطيب القزويني (739ه) هذب الكثير من المصطلحات وعرض المسائل بأسلوب تعليمي سهل.

**مصطلحات علم البلاغة:**

**أولا: بين البلاغة والفصاحة**

**الفصاحة:** لغة البيان والظهور، وفي الاصطلاح تقع وصفا للكلمة والكلام والمتكلم:

* فصاحة الكلمة تتحقق بخلوها من تنافر الحروف، غرابة الاستعمال، ومخالفة القياس..
* فصاحة الكلام تتحقق بخلوها من تنافر الكلمات وضعف التأليف، والتعقيد..
* فصاحة المتكلم تتحقق بأن يمتلك ملكة طلقة في الكلام.

**البلاغة:** هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

**ثانيا: علوم البلاغة**

**للبلاغة علوم ثلاثة: المعاني، البديع، والبيان**

1. **علم المعاني:** يبحث في كيفية جعل الكلام مشتملا على اللطائف والخصوصيات التي بها يطابق مقتضى الحال، مباحثه كثيرة أهمها:

* **الخبر:** فالخبر هو الكلام الذي يصدق أن نحكم عليه بالصدق أو الكذب، وهو ثلاثة أضرب؛ ابتدائي (خال من وسائل التوكيد)، طلبي (متوفر على وسيلة واحدة من وسائل التوكيد)، وإنكاري (يتوفر على وسيلتين فأكثر من وسائل التوكيد).
* **الإنشاء**: هو الكلام الذي لا يصح الحكم عليه بالصدق أو الكذب، وهو نوعان طلبي وغير طلبي. أما الطلبي فيحمل معنى الطلب وصيغه هي: الأمر والنهي والنداء والاستفهام والترجي والتمني، وأما غير الطلبي فما لم يتضمن معنى الطلب كأفعال المدح والذم، والقسم، وأفعال العقود والتعجب.
* **القصر**: لغة: الحبس، واصطلاحا: هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، أو هو إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عما عداه لإحدى الطرق الآتية: 1- النفي والاستثناء: ما شاعر إلا شوقي 2- إنما: (إنما لمؤمنون إخوة) 3- العطف بـــ: لا وبل ولكن، مثل: الأرض متحركة لا ثابتة 4- تقديم ما حقه الأخير، مثل: إياك نعبد وإياك نستعين.
* **الوصل والفصل**: الوصل في اصطلاح البلاغة هو عطف جملة على أخرى بالواو وغيرها، والفصل ترك هذا العطف. والذي يتكلم عنه علماء المعاني هنا هو العطف بالواو خاصة دون بقية حروف العطف. وللفصل مواضع كما أن للوصل مواضع أيضا.
* **الإيجاز والإطناب والمساواة**: - إذا جاء التعبير على قدر المعنى بحيث يكون اللفظ مساويا لأصل ذلك المعنى فهذا هو المساواة - وإذا زاد التعبير على قدر المعنى فذلك الإطناب - وإذا نقص التعبير عن قدر المعنى فذلك هو الإيجاز.
* **التقديم والتأخير:** يقصد بهما تغيير مراتب العناصر في الجملة على غير ما يمليه الترتيب الأصلي، وقد يكون بين المسند والمسند إليه، وبين عناصر الجملة التي تخرج عن العلاقة الإسنادية، كتقديم المفعول به على الفعل والفاعل. ولكل من هاتين الآليتين استعمالات أغراض لطيفة يتنبه إليها العارف باللغة المتمكن في أسرارها.

1. **علم البديع:** البديع لغة المخترَع الموجد على غير مثال سابق، أما اصطلاحا فهو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد.

**وهو قسمان:** محسنات بديعية معنوية، ومحسنات بديعية لفظية؛

1. **المحسنات المعنوية**: هي كثيرة لكن نذكر أشهرها:

* **التورية:** هي أن يذكر المتكلم لفظا له معنيان أحدهما قريب ظاهر غير مراد والآخر بعيد خفي هو المراد؛ مثل ما ورد في قول الشاعر:

أبيات شعرك كالقصـــ ــور ولا (قصور) بها يعوق

ومن العجائب لفظها حـــــرّ ومعنـــــــــاه (رقيــــــــــق)

* **الاستطراد**: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة بينهما.
* **الطباق:** هو الجمع بين الشيء وضده، مثل: العلم / الجهل
* **المقابلة:** هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب
* **تأكيد المدح بما يشبه الذم**: مثل معنى البيت:

لا عيب فيه غير أني قصدته فأنستني الأيام أهلا وموطنا

* **تأكيد الذم بما يشبه المدح:** في معنى قولنا:

لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون للجار حقه

1. **المحسنات اللفظية**: كثيرة أشهرها:

* **الجناس**: اتفاق اللفظ في النطق واختلاف في المعنى: - جناس تام: المغرب (صلاة)، المغرب (البلد) - جناس ناقص: ناضرة / ناظرة
* **التّرصيع:** هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها، مثل: "إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم" [الانفطار: 13-14]
* **السجع:** توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، مثل قول الرسول (ص): "أنا رسول الله لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"
* **التصريع:** هو توافق أواخر شطري البيت الأول من الشعر، مثل قول الشاعر في مستهل قصيدته:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

1. **علم البيان:** البيان لغة الكشف والإيضاح، وفي الاصطلاح: أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضح الدلالة على نفس ذلك المعنى.(كرم سعد - سعد كحاتم الطائي - رأيت بحرا في دار سعد - سعد كثير الرماد...)

* **التشبيه:** هو مشاركة أمر لأمر في صفة أو صفات، أنواعه: - التام: تتوفر فيه جميع عناصر التشبيه؛ المشبه والمشبه به، الأداة ووجه الشبه - البليغ: ما حذف فيه الأداة ووجه الشبه - حسب أداة التشبيه: مرسل إذا ذكرت، ومؤكد إذا غابت - حسب وجه الشبه: مفصل إذا ذكر، ومجمل إذا غاب - التشبيه الضمني: لا يصرح بطرفي التشبيه بل يستخلصان من ثنايا الكلام - التشبيه التمثيلي: هو مقابلة صورة بصورة ووجه الشبه نجده متعددا - التشبيه المقلوب: يكون بقلب محلي المشبه والمشبه به لخلق المبالغة كأن نقول: نور الصبح كإشراق وجهك.
* **المجاز:** في البلاغة العربية نوعان: مجاز عقلي ومجاز لغوي. أما المجاز العقلي فهو إسناد الفعل لغير فاعله الأصلي.
* **المجاز اللغوي:** هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في الأصل لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي. وهو نوعان: الاستعارة - المجاز المرسل

وهذه العلاقة بين الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة فنحن مع الاستعارة، وقد تكون غير المشابهة فنحن مع المجاز المرسل (مرسل لتعدد علاقاته).

* **الاستعارة:** هي قسم من المجاز اللغوي علاقته المشابهة، وتعرف أيضا بأنها تشبيه حذف أحد طرفيه، وهي قسمان: استعارة تصريحية وهي ما صرح بالمشبه به وحذف المشبه - استعارة مكنيه وهي ما حذف المشبه به وذكر المشبه.
* **المجاز المرسل:** مجاز لغوي؛ والعلاقة بين المعنى الحقيق والمجازي هي علاقة غير المشابهة، وقد تكون سببية أو مسببية أو مكانية أو حالية أو اعتبار ما كان أو اعتبار ما سيكون...
* **الكناية:** هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إيراد معناه أيضا، مثل: محمد يده نظيفة، كناية عن الكسب الحلال وهو المعنى البعيد مع جواز ظاهر اللفظ الذي بمعنى نظافة اليد.